بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين

(السّلامُ عَليكَ يا مَولايَ يا موسى بنَ جَعفر وَرحمَةُ الله وبَركاتُه، أشهَدُ أنَّكَ قَد بَلَّغتَ عَنِ اللهِ ما حَمَّلَكَ وَحَفِظتَ مَا استودَعَكَ، وَحَلَّلتَ حَلالَ اللهِ وَحَرَّمتَ حَرامَ اللهِ، وَأقَمتَ أحكامَ اللهِ، وَتَلَوتَ كِتابَ اللهِ وَصَبَرتَ عَلَى الأذى في جَنبِ اللهِ، وَجاهَدتَ في اللهِ حَقَّ جِهادِهِ حَتّى أتاكَ اليَقينُ، وَأشهَدُ أنَّكَ مَضَيتَ عَلى ما مَضى عَلَيهِ آباؤُكَ الطّاهِرُونَ وَأجدادُكَ الطَّيِّبُونَ الأوصِياءُ الهادُونَ الأئِمَّةُ المَهدِيُّونَ...)[1]

بمناسبة وفاة الإمام الكاظم (ع) أتحدث[2] من خلال هذه المناسبة عما يساهم في بلورة إمامة الأئمة (ع)، فيكم من هو حقيقة متطلّع لمعرفة الإمامة التي **بها** يحصل الإيمان، وفينا مع الأسف من هو فقط عايش نفسه وفي الحقيقة ليست لديه رغبة إلى الآن في أن يخرج من نطاق نفسه، حتى حينما يتصرف فإنه فقط يتصرف لشخصه، لا يوجد لديه تطلّع أكبر من نفسه، هَمّ أكبر من نفسه، هِمّة أكبر من نفسه، هذا موجود مع الأسف، ونرجو أن يجعل الله في هذه المناسبات مناسبة استعادة لفطرتنا وقيام كل واحد منا وهذا ميسور بشرط أن الإنسان لا يتكلف، يرفق بنفسه لكن بشرط أن يكون رفق مع ميل، يعني يكون حنيفا، يعني يكون فيه جدية وشد لكن شد رفيق ومستمر، لا أنها تكون هبّة ثم بعد ذلك تنتهي، هذا تكلف.

معروف أن الإمام موسى بن جعفر (ع) تولى الإمامة بعد وفاة الإمام الصادق (ع) في سنة ١٤٨هـ وتوفي في سجن هارون في سنة ١٨٣هـ، وبقي في السجن مدة أربع سنوات –ويُذكر أنه أكثر من ذلك– ولعله لم يكن في السجن دائما، بعض الأحيان كان يُطلَق سراحه ويبقى تحت المراقبة ثم بعد ذلك يغير هارون رأيه فيسجنه (ع)، ومعروف أن هارون أمر بأن يُسم، هذه الطريقة –هارون وغيره من هؤلاء– كانوا يتّبعونها.

هارون (لقبه الرشيد) كان أبرز خلفاء بني العباس، اجتمعت له مقومات كثيرة لأن يكون الإمبراطور البارز –لو صح هذا التعبير–، شاب ذكي جدا وقوي الشخصية جدا، متأثر بشخصية أمه خيزران، معروف أنه توفّر له وزراء برامكة واستقطب أفضل الفقهاء والعلماء جنّدهم معه، فلم يكن يعوزه شيء، كمثال: أراد

---

[1] بحار الأنوار نقلا عن مصباح الزائر ص١٩٨

[2] تحدث به السيد محمد علي الباقري حفظه الله بتاريخ ٢٤ رجب ١٤٢٤هـ الموافق ٢١ – ٩ – ٢٠٠٣م، وقد تطوّع بعض الأشخاص بطباعته مع شيء من التصرف نتيجة تحويل الحديث من مسموع إلى مقروء وقد لا يخلو من أخطاء غير مقصودة.

إمبراطور بيزنطة (الروم الشرقية) أن يحاربه فكتب إليه: من ملك الروم إلى ملك العرب.. ثم كتب شيئا، هذا استفزّه فكتب في جوابه: الجواب سوف لا يكون بالكلام وإنما بالعمل، فأمر بالخروج لغزو هرقيليا (عاصمة هذا الإمبراطور) فأخذ معه مئة وثلاثين ألف جندي مضافا إلى كمية هائلة من المتطوعين وفتح هذه المناطق، فقام ذلك الملك بدفع الجزية. وكذلك معروف عنه أنه كان يستلقي حينما يرى سحابة حاملة للمطر فيخاطبها: اذهبي حيث شئتِ فسوف يأتيني خراجك.

الآن ما ذكرته بهذا المقدار قد تستفيد منه كمعلومة، أما لو كنت متطلّعا -يعني خارجا عن نطاق شخصك- فالآن بهمّتك، بطموحك تسعى لأن تكون مع الأئمة (ع) هذه قضية شخصية لك، هنا الذي أقوله الآن إن شاء الله ينفعك.

حينما بُعث النبي (ص) أسس حكومة -مؤخرا كنت أقرأ في مقالات وأسمع كذلك يُطلَق عليها (المجتمع المدني)-، هذه الحكومة يعني في الواقع شريعة تجسّدت في نظام قائم، بعد وفاة رسول الله (ص) كانت هنالك دعوتان أو طريقتان أو نجدان، طريقة اتُّبعت وسادت واستمرت، وطريقة أخرى كان يدعو إليها الأئمة (ع) هذه الطريقة مجهولة، هذه الطريقة التي يُعبَّر عنها بأمر الأئمة (ع) وبأمر الله وبأمر المؤمنين، هذه الطريقة هي التي لا يطلبها إلا من له همّة كهمّة أصحاب الحسين (ع)، أما الشخص الذي فقط عايش نفسه هذا الشخص لا يطلبها وإذا طلبها يتكلف ويتشتت لا يدري كيف يلملمها، هذه الطريقة هي التي لا تُعرف إلا بأن يكون الشخص قد أقام وجهه لتحمّلها، لسلوكها للجهاد فيها لأنها هي سبيل الله عز وجل، هذه الطريقة هي التي يُعبَّر عنها (**إن أمرنا صعب مستصعب** -هو صعب وكذلك الإنسان يستصعبها نتيجة عوامل كثيرة- **لا يحتمله إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان**)[1]، هذا ميسَّر ولكن الإنسان يتخاذل. هذه الطريقة مجهولة الآن مع الأسف، تلك الطريقة هي الرائجة الآن، مثلا الحضارة الإسلامية حينما يُتحدث عنها تعكس تلك الطريقة الرائجة، كثيرون من كبار الشخصيات الفكرية يفتخرون بتلك الحضارة، تلك الحضارة التي يُعتز بها وتُفتقد الآن، عهد هارون كان يمثل أبرز مرحلة لهذه الحضارة.

كمثال ما هو معروف ومركز عليه يذكره شخص مسيحي لقبه البستاني أن هارون أهدى ساعة إلى شارلمان (إمبراطور فرنسا) فكانت تعتبر معجزة، ناس كثيرون كانوا يأتون لينظروا إلى هذه الساعة كيف تعمل،

[1] بصائر الدرجات (١/٤٥)

يعني كانت هنالك إمكانيات تقنية متقدمة، الطب كان متطورا جدا، أنا لا أريد أن أتحدث عن هذه الأشياء. تلك الحضارة التي يُعتز بها وتُفتقد الآن، عهد هارون كان يمثل أبرز مرحلة لهذه الحضارة.

لو لم يقتل هارون الإمام موسى بن جعفر (ع) ولم يسجنه، إذا لم تحصل هذه المشاكل، نفترض لم يغصب حق الإمام (ع)، ماذا كان يحصل؟

الإمام (ع) إذا كان هو يتولى الخلافة ماذا يحصل؟ كان يعدل، ما هو العدل؟ أصلا لا توجد حاجة للبحث عن هذه الأشياء! الحياة ماشية!

بغداد بناها منصور الدوانيقي –جد هارون أبو الخليفة المهدي– (مدينة المنصور) لكن تسمى الآن بمدينة الرشيد، حينما تُذكر بغداد فلأن تضخّم وتفخّم يقال مدينة الرشيد.

كان يحج سنة ويغزو سنة، وحينما يحج يقال أنه كان يأخذ معه –حسب ما أذكر– أقل شي مئة شخص من الفقهاء وأبناء الفقهاء، وله أكثر من واعظ يَطلب منه أن يعظه، حينما يعظه ويذكّره بفناء الدنيا يبكي، يبكي بشدة.

مثلا تذكر شواهد كثيرة خاصة من سيرة هارون، ناس شغلهم هكذا يأتي ويعظ، إنسان متدين –حسب الظاهر– زاهد كذلك لا يأخذ مالا ولا يأخذ شيئا وبصدق يعظ وذاك يبكي، هذا يرتاح وذاك كذلك يرتاح. هنالك أناس متأذون بطبيعة الحال، هنالك بعض الأشخاص كانوا يخرجون عليه لكنها مسائل مبتورة وتنتهي!

إذا الآن سألنا: أوليس هدف النبي (ص) أن تكون للمسلمين حضارة ومجتمع مدني بعده؟ الجواب ماذا يكون؟ نعم!، إذن فأي نموذج يمثل هدف النبي (ص)؟

هارون خلّف في بيت المال –بيت المال كان خاصا بالخليفة– حوالي مليار وغير مذكور دينار أو درهم، حتى إذا كان درهم في ذلك الحين كان سعر الشاة بدرهم وكان العامل يعمل بحوالي ربع درهم باليوم، تستطيع أن تحسب كم هذا! هِبات، شاعر يمدحه فيعطيه أربعين ألف درهم وهكذا.

أقرأ أبيات من قصيدة لأبي العتاهية (أبو العتاهية مر بمرحلتين من حياته، فتاب وأشعاره كلها في هذه المرحلة المتأخرة كانت في الزهد، وفي رواية عن الإمام الرضا (ع) أنه تمثّل بثلاثة أبيات –شخص ينقل– منها

مثلا : إنما الدنيا كظلٍ زائل حلّ فيه راكب ثم رحل ، فلو صحّ هذا أن الإمام الرضا (ع) تمثّل بكلامه فهذه مفخرة لا تساويها مفخرة).

أقرؤها عليك، في القسم الأخير من هذه القصيدة هو يعكس بصورة حية الأوضاع في ذلك الحين لأنه كان معاصرا لهارون، يقول:

أين القرون الماضية تركوا المنازل خالية فاستبدلت بهم ديارهم الرياح الهاوية
إن العقول عن الجنان وحورهن لساهية أفلا نبيع محلةً تفنى بأخرى باقية
من مُبْلِغٍ عني الإمام -يعني هارون- نصائحَ متوالية إني أرى الأسعار أسعار الرعية غالية
وأرى المكاسب نزرةً وأرى الضرورة -الفقر- فاشية وأرى المراضع فيه عن أولادها متجافية
وأرى اليتامى والأرامل في البيوت الخالية مِن مسبياتٍ جوَّعٍ تمسي وتصبح طاوية
من للبطون الجائعات والجسوم العارية من لارتياع المسلمين إذا سمعنا الواعية

قلّ ما يوجد في التاريخ صدق، لكن هذه صورةٌ صادقة عن الوضع، الترف من جانب فلا يرون أن هنالك أناسا آخرين، ومن جانب آخر فقر مُدْقِع، هذا شيء طبيعي حتى إذا لم تكن هذه الصورة موجودة، هذه هي الحضارة!

الآن، لو كنتَ متطلعاً وطموحاً وتريد -يعني نفسك قائمة- حينها سوف تبحث عن طريق لتقوم فيه وتجاهد، هنا تترابط الأمور ، الآن ركيزة الدين التي مهما تشوَّه الدين هذه الركيزة لا يمكن أن تتشوّه، كل إنسانٍ فكَّر فبالبداهة يَعرف بأن الدين يدعو الجميع لعبادة الله وحده، هنا أيُّ عقلٍ يستطيع أن يعرف بأن في وضعٍ كهذا لا يمكن أن تكون العبادة لله وحده لجميع الناس فلابد أن يكون هنالك استضعاف، هل يُتوقع من هذه المرضعة التي جافت ولدها -لم تجد شيئا تُرضعه- أن تقوم بالقسط الذي يأمر به الله (**كونوا قوامين بالقسط**)، مثل ذلك الشخص الذي لا يعرقل حياته شيء؟ هذا أيُّ إنسان عاقل يعرفه فأيُّ إنسانٍ حينما كان يتفكّر ويتعقّل ويربط الأمور يجد بأنَّ النبي (ص) مستحيل أنه بُعث لهذا، لكن تلك الحضارة كانت تُطرح باسم الإسلام وكانت تُتَقبَّل باسم الإسلام، فقهاء علماء شعراء يمدحون هارون كممثل للإسلام! هو حينما يقف أمام قبر رسول الله (ص) يقول السلام عليك يا ابن عَمْ، وهذا مقبول! يحج يتعبَّد يقرأ القرآن يصلي جماعة يخطب يعظ يُذَكِّر بالآخرة وحينما يُوعَظ يبكي، يقال أن شخصاً وعظه في مكة وهو كان راكباً على

حصانه وإذا دموعه تنهمر على عنق الحصان، فإذن ما هو الإشكال؟! هنالك أشخاصٌ كثيرون قاموا لإزالة هذا الوضع الذي صوَّره أبو العتاهية، سعوا حتى يغيروا هذا الوضع حتى هؤلاء الجُوَّع تَشبع بطونهم، هذا الشيء طبيعي.

أمّا من يقوم بالقسط، طموحه طموح قسط، همته همة قسط، تفكيره تفكير قسط، هناك يجد أن الطريق الذي يجب أن يُسلك لا فقط عملا، فقبل ذلك ما يجب أن يُفكَّر ويُتعقل ويُعرف ويُتديّن به هو طريقة موسى بن جعفر (ع)، والذي كان واضحا أنه لم يكن يريد القيام ضد ذلك الحكم بل كان يتقي حتى الكلام، مثلا يأمر علي بن يقطين –كان من المرتبطين بهارون– كان يأمره بالتقية، لكن مع ذلك هارون ما كان يخاف الأشخاص الذين يقومون ضده بهذا المقدار. أمّا أساس عرشه وأساس خلافته كان يُمثل الحضارة فباسم الإسلام يتكلم ويجعل الناس يتصورون أن ذلك الدين الذي بُعث رسول الله (ص) له هو هذا الذي يمثله ويجسده هارون، له جماعات كثيرة من المبررين والمجادلين يستطيعون أن يجادلوا عنه ويدافعوا ويثبتوا أنه هو يمثل رسول الله (ص)، وكثيرٌ من الناس كانوا يقبلون أنَّ الإسلام هو هذا، فهارون كان يخاف مَن؟ كان يخاف السُّنة –سنة الإمام (ع)– هذا كان يخيفه كان يقتله، لا الكلام ولا حتى القيام ضده فكان أناس يعاملونه بشدّة يتكلمون معه بشدّة وكان يتقبل، وزيره ينهر ذلك الشخص: أنتم ما تخافون أمير المؤمنين! كيف تعظه؟ فهارون ينهر وزيره: دعه يذكرنا بالآخرة. فالكلام لا يضره وكذلك القيام ضده فلولا السيف لا توجد مشكلة فليكن.

الذي كان يضره هو السُّنة المتمثلة في موسى بن جعفر (ع)، هنالك سُّنة –دعوة– يا ناس هذا ليس دينا، يا ناس الكلام لا يتحول إلى دين، يا ناس هذا الفقه لا يصنع دينا، يا ناس هذا الذي يذكره هؤلاء الخطباء وهؤلاء القرّاء وهؤلاء الوعاظ هذه الأشياء لا تُقيمُ الإنسان بالقسط، تلك كانت دعوة موسى بن جعفر (ع)، هو في السجن لكن أيُّ إنسانٍ إذا كان يعرف الإمامة كان يعرف أنّ موسى بن جعفر (ع) سُجن لهذا، هارون كان يعلم أنَّ موسى بن جعفر (ع) لا يريد الحكم لنفسه، وكان يعلم بأنَّ هؤلاء يتوقعون بعد مدة أن يكون هنالك حكم إلهي، الشخص المتطلع الذي له همة والطموح الفطري معه، لا أنه متخاذل يعيش نفسه فقط ويتمنى أن الآخرين يهتمون فيه بدل أنه يهتم بالدين ويشجع الآخرين للاهتمام بالدين.

إذا كان الشخص بهذا الشكل فهذا الشخص سوف يجد هذه الدعوة في موسى بن جعفر(ع) السجين، يجد هذه الدعوة في الحسين بن علي (ع) الشهيد القتيل، فيجد ما تطلبه نفسه، إلهي بُعث النبي وأتى بدين، الدين المطروح لا يقيم الإنسان بالقسط، هذه الجهود التي يبذلها هؤلاء الكتّاب والمتكلمون لا تهدي نفسي وقلبي، إلهي إلى أين؟

فهنا يجد آلام موسى بن جعفر (ع) ومعاناته، فموسى بن جعفر (ع) بسجنه يقول إلينا إلينا نحن نُرضي أسئلتك الفطرية، نحن أئمتك نحن أمامك أنت خُلقت لأن تكون معنا، كل شيء في وجودك، جُعلت فيك همة كهمتنا طموح كطموحنا رغبة كرغبتنا تطلّع كتطلعنا، كل شيء خُلق فيك لتكون معنا، ها نحن موجودون. ولهذا ذلك الاستخفاف الذي يُنقل أنهم حينما أخرجوا جنازة الإمام موسى بن جعفر (ع) من السجن فتقصّد الحمّالون وتعمّدوا أن يقولوا: من أراد أن ينظر إلى إمام الرافضة فهذه جنازته.

هل تلك المعاناة تلك الشهادة وكل ذلك التاريخ المهيأ لأن يوضِح ويبلور لك الطريق ويدفعك، هل أنت وأنا نحن جميعا نستفيد من ذلك؟ أم والعياذ بالله مجرد كلام نسمعه وعواطف تتأجج وبعد ذلك تحصل هنالك تغيرات ثم ينتهي كل شيء، نعوذ بالله أن نكون كذلك، يا أبا الحسن موسى يا ابن رسول الله أنتم نور قلوبنا أنتم عزّنا وقوّتنا وشموخنا وسندنا فلولا أنتم ضعنا ولم نجد شيئا، اشفع لنا نحن معك مع إمامتك مع دعوتك بكلّنا لا بقلوبنا فقط، نحن أقمنا وجوهنا لكم أنتم دين الله الذي لا دين إلا دينه.

والحمد لله رب العالمين